اثر الكاهن ودوره في اتخاذ القرار في العراق القديم

اسماء جميل راضي
Ggrhasa2013@gmail.com
07710410508
أ. د. عامر حمزة الغريب

جامعة بغداد – كلية الآداب
التاريخ / التاريخ القديم

اثر الكاهن ودوره في اتخاذ القرار في العراق القديم

اسماء جميل راضي

أ. د. عامر حمزة الغريب

المستخلص

أن حكم علاقة السلطة الدينية، المتمثلة بالكهنة، بالسلطة السياسية المتمثلة بالملك ألا وهو التنافس بين السلطتين في أوقات معينة، بعد أن انفصلت الثانية عن الأولى من ناحية الوظائف والمهام التي يتوجب على كل طرف أن يؤديها. ففي الأوقات التي كانت فيها السلطة السياسية على درجة كافية من القوة بحيث تستطيع أن تجعل السلطة الدينية تسير تحت جناحها فقد كانت علاقة الطرفين علاقة حسنة، أما في الأوقات التي تكون فيها السلطة السياسية ضعيفة، فان السلطة الدينية كانت تحاول الاستفادة من هذا الضعف لتجعل من الملك تابعا لها، وإلاّ قامت بإبعاده عن ممارسة السلطة.

الكلمات المفتاحية : الكهنة ، الالهة ، الملك ,بلاد الرافدين

Alathir Alkahin Aldawaarih fi Abtikar Aleiraq Alqadim

University of Dr. Amer Hamza Al Al-Gharib Researcher. Asmaa Jamil Radi
Baghdad College of Arts - University of Baghdad College of Arts
Ggrhasa2013@gmail.com

Almustakhlas

Ana hukm ealaqat alsultat aldiyniati, almutamathilat bialkahanati, bialsultat alsiyasiat almutamathilat bialmalik 'ala wahu altanafus bayn alsultatayn fi 'awqat mueayanatin, baed 'an ainfasalat althaaniat ean al'uwlaa min nahiat alwazayif walmahami alati yatawajab ealaa kuli taraf 'an yuadiyaha. fafi al'awqat alati kanat fiha alsultat alsiyasiat ealaa darajat kafiat min alquat bihayth tastatie 'an tajeal alsultat aldiyniat tasir taht janahiha faqad kanat ealaqat altarafayn ealaqatan hasanatan, 'amaa fi al'awqat alati takun fiha alsultat alsiyasiat daeifatan, fan alsultat aldiyniat kanat tuhawil

alaistifadat min hadha alduef litajeal min almalik tabiean liha, w'ila qamat bi'iibeadih ean mumarasat alsultati.
Key words: priests, gods, king, Mesopotamia.

المقدمة

يعد موضوع اثر الكاهن ودوره في اتخاذ القرار في العراق القديم من المواضيع المهمة كونه يسلط الضوء على تفاصيل ذات اهمية تتعلق بالواقع السياسي للبلاد الرافدين وقد تطرقت العديد من الدراسات الى مواضيع تتعلق بالكاهن والالهة والملك لكنها هذه الدراسات لم تأتي بشي من التفصيل حول اثر الكاهن في اتخاذ القرار عبر المراحل تاريخ العراق القديم وقسم البحث الى محورين جاء المحور الاول بعنوان **(بداية نشأة الكهانة في بلاد الرافدين)** تضمن المحور الاول جذور الكهانة في البلاد الرافدين وتطورات التي مرت بها عبر مراحل التاريخية في لعراق القديم في حين حمل المحور الثاني بعنوان:**(الدور السياسي للكاهن في البلاد الرافدين)** وقد سلط هذا المحور الضوء على مكانه الكاهن واثره في الواقع السياسي في العراق القديم وقد اعتمد البحث على ومصادر عديدة ومتنوعه اغنت البحث بالمعلومات المهمة التي اظهرته البحث بهذا الشكل .

المحور الاول

١- بداية نشأة الكهانة في بلاد الرافدين

لم يكن هناك في العصور السومرية الاولى حد فاصل ما بين منصب والملكية .([١]) وأطلق حكام لكش على أنفسهم لقب أنسي (وكيل الرب) الذي يوضح العلاقة بين الإله والملك وسمي كوديا نفسه كاهن نينكرسو وتلقب لوكال زاكيزي بلقب كاهن نيسابا الأعظم.([٢]) ومن الصعب معرفة بدء منصب الكاهن، ففي إناء الوركاء النذري من العصر شبه الكتابي نلاحظ رجالا عراة يقدمون الأضاحي في الغالب هم كهنة، مما قد يدل على عدم ممارسة الكهانة، وربما كان الملوك في البداية الكهانة ، فكان لقب كلكامش في البداية ابن الأعظم ثم الملك. وكان انيتارزي قبل اعتلائه عرش لكش كاهنا والمعروف عن أورنانشة أول حاكم على لكش أنه كان عرافا في الأصل. ،([٣]) ومن الجدير بالذكر أن علاقة السلطة الدينية، المتمثلة بالكهنة، بالسلطة السياسية المتمثلة بالملك كانت تقوم عل اساس التنافس

بين السلطتين في أوقات معينة، اذ ادى انفصال السلطة السياسية عن الدينية من ناحية الوظائف والمهام الى شيوع ظاهرة التنافس بينهما ,ولما كان ميزان القوى يميل لصالح السلطة السياسية وتتحرك السلطة الدينية تحت لوائها فان العلاقة بين الطرفين تكون حسنة، أما في حال كانت السلطة السياسية ضعيفة، فان السلطة الدينية كانت تسعى لاستغلال ذلك الضعف وتوظيفه لصالحها من خلال جعل الملك تابعا لها، وفي حال تعذر لها تحقيق ذلك فأنها لا تتوانى من ابعاده من اداء مهامه كملك ومن ثم عزله .

وعل الرغم من حالة التنافس القائمة بين السلطتين الا ان ذلك لا يعني غياب التعاون التام بين السلطتين ،فقد كان الكهنة ينعمون بالامتيازات الكثيرة جراء خدمتهم للآلهة حتى انهم شكلوا مجتمعا مغلقا له قوانينه وحقوقه وتقاليده الخاصة، ويتأتى كل ذلك من واردات المعبد والتجارة والايداع، فضلاً عن القرابين التي كانت تقدم إلى الآلهة([٤]) وقد ادى تضخم عوائد رجال الدين الى ادراكهم أهمية سيادة الطاعة في المجتمع وتحقيق الانسجام والرضى بين افراده وكان دافعهم في ذلك يلتقي مع دافع جميع الأغنياء بالحفاظ على تلك المكتسبات التي تمتعوا بها والمحافظة على استمرار نمط العيش بما يضمن لهم بقاء حياة الرفاهية المادية التي كانت تتم على حساب استغلال الفلاحين والعبيد.

وبناءً على ذلك يمكن القول ان تحقيق الامن في المجتمع كان يصب في خدمة الكهنة الامر الذي افضى الى خلق حافزا" مهم للتعاون مع السلطة السياسية المعنية بتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع. وقد وصف أحد الباحثين هذا التعاون القائم ما بين الملوك والكهنة بالقول: **((غير أن التاج والمعبد لم يكونا مؤسستين متناحرتين بأي شكل من الأشكال اذ كان الملك يعد تقليديا الرئيس الأعلـى للكهنة))**. ([٥]) وعلى الرغم من وجود مبالغة في هذا النص الا اننا نؤكد في المحصلة النهائية من ان التعاون ما بين السلطتين كان قائما. اذ ذكر الأستاذ هورست كلنغل ما نصه: **(بعد انهيار سلالة اور الثالثة تغيرت تدريجياً وظيفة المعابد. فلم تعد المكان الذي يكوّن وحدة مع المدينة حيث تحولت من بيت الآلهة إلى قصر الآلهة وانضوت تحت السيادة الملكية تماماً حتى صارت تشكل دعما للحكم وكان الملك بالمقابل يقدم الرعاية والمكافآت المجزية للكهنة)**([٦])

ويتضُح مما تقدم ان هناك تعاون واضح ما بين الكهنة والملوك، وهذا التعاون لا ينفي وجود اختلاف وتنافس ما بين السلطتين ،الامر الذي أنتج منهجا سياسياً خاصاً في العراق القديم شكّل الدين ركيزته الأساسية (٧).

بناء على ذلك يكون الحاكم قد اكتسب مزيدا من السلطة والشرعية، بهدف فرض إرادته على المحكومين الذين لم يعد لهم الحق في الاعتراض أو الثورة على ممارسات الملوك الذين كانوا يحكمون باسم الإله الاعلى وفق شروط معينة (٨).لقد استمر الكهنة في تقديم العون الفكري للسلطة السياسية على وفق المصلحة الاخيرة، وبتاثير من الملوك أدى الكهنة دوراً هاماً في رفع شأن بعض الآلهة كمر دوخ وآشور ليكونا في مصاف الآلهة الرئيسة أمثال آنو و انليل، وقام هؤلاء بإعادة ترتيب أنساب الآلهة من أجل إضفاء الصفات والخصال التي كانت للآلهة العظيمة على الآلهة الصغيرة التي صارت على رأس مجمع الآلهة. وقد هدف الملوك من هذه المناورة، التي تمت بمساعدة الكهنة، إلى القول بأن الإله مردوخ بالنسبة لبابل، وآشور في بلاد آشور مفوضان من الإلهين آنو وانليل، وبموجب هذا التفويض قاما بتفويض ملوك بابل وآشور لحكم البلاد. وبهذه الطريقة أضفى الملوك شرعية على سلطتهم(٩). إن الدور المؤثر للكهنة في تقرير شؤون الدولة, جعل الملوك يقومون بتعيين أبنائهم وبناتهم أو أحد أفراد العائلة المالكة الآخرين في منصب الكاهن الأعلى في المعابد التي كان لآلهتها شأن كبير، وبكلام أكثر دقة كان لكهنتها تأثير كبير دينياً وسياسياً، وقد ابتدأت هذه العملية منذ عصر فجر السلالات واستمرت في العصور التالية، فقد قام الملك سرجون الأكدي بتنصيب ابنته انخيدوانا كاهنة عليا في معبد الإله نانّا (سين) في مدينة اور، فضلاً عن كونها كاهنة في معبد الإله آنو في مدينة الوركاء، واستمرت تشغل هذا المنصب حتى زمن حكم الملك نرام – سين الذي عين ابنته خلفا لها في المنصب(١٠). كما عين هذا الملك(نرام – سين) ابنه (لييت – ابلي) (Leiit – abli) كاهناً أعظم لإله مدينة مرد، ووضع ابناً آخر له في المنصب نفسه للإله (توتو) (Tutu). وهذا ما فعله اور– باو مع ابنه، فضلاً عن اورنمو، وجعل (ريم – سين) اخته كاهنة عظمى في معبد الإله (نانّا)، وعين آشور– بانيبال أخويه كاهنين أعظمين، أما نبونائيد فقد قام بتعيين أمه

كاهنة عظمى لمعبد الإله سين في حران(. كما عين ابنته (بيل – شلتي – ننا) (– Bēl Shalti – Nana) كاهنة عليا في معبد الإله سين في مدينة اور([١١]).

إن وضع أحد أفراد العائلة المالكة على رأس المؤسسة الدينية مثل خطوة سياسية مهمة لاحتواء المؤسسة الدينية، وجعلها تسير ضمن سلطة الدولة فمن جهة تتخلص، وفي أقل تقدير تقلل، السلطة السياسية من منافسة الكهنة لها، ومن جهة ثانية تضمن دعم وتأييد المؤسسة الدينية التي صار أفراد من العائلة المالكة يتمتعون بنفوذ كبير فيها, وكانت هناك أهمية خاصة لبعض التعيينات في منصب الكاهن الأعلى، فحين عين الملك سرجون الأكدي ابنته انخيدوانا في هذا المنصب، كان هدفه الاستفادة من هذا المنصب الديني لتحقيق هدف سياسي، وهو تعزيز الوحدة السياسية للبلاد التي تمت على يديه عن طريق إقامة وحدة في الطقوس والشعائر الدينية بين المراكز الدينية في المدن الرئيسة، لهذا جاء تعيينها كاهنة لإلهين من أهم آلهة السومريين. كما أن وجود والدة الملك نبونائيد في منصب الكاهنة العليا في معبد الإله (سين) في حران وابنته في معبد مدينة اور لأهمية هذا الإله في المشروع الديني السياسي للملك([١٢]).

المحور الثاني

الدور السياسي للكاهن في البلاد الرافدين

كان الشخص الذي يتقلد منصب الكاهن الأعلى يحظى بامتيازات دنيوية على قدر كبير من الأهمية إلى جانب اختصاصاته الدينية. وقد شملت هذه الامتيازات الجانب السياسي والاقتصادي، فعلى سبيل المثال كان الكاهن الأعلى في لكش يشغل منصب الايشاكو (الحاكم)، وكونه الكاهن الأعلى للإله ننكرسو فقد سيطر على مخازن غلال المدينة والتحكم بغذاء السكان. كما أن الكاهن الأعلى هو الذي كان يقوم بمراقبة توزيع الأراضي على السكان وتعيين المهام المتوجبة عليهم فيما يخص أعمال السخرة المتعلقة بالأرض الخاصة بالمعبد، أو حفر قنوات الري وتطهيرها, وهناك مجال آخر كان للكهنة دور كبير ومؤثر فيه،هو المشاركة في رسم سياسة الدولة عن طريق الوحي الإلهي، فقد تخصص صنف من الكهنة وهم العرافون (ايزو) (Ì-ZU) و (آزو) (A-ZU) في السومرية، و(بارو) (bārû) في الاكدية، ومفسرو الرؤى والاحلام (ENSÍ) في السومرية، و(edammûm

وšāilûm) في الأكدية) بهذا الأمر، مدعين بأنهم يستطيعون معرفة إرادة الآلهة وما تقرره في القضايا السياسية المهمة، وقد كان لثقة الملك بتنبؤات هؤلاء دور مهم في تسيير شؤون الدولة([١٣]). وهذه الثقة هي نتاج التعاون بين الجانبين، كون السلطة السياسية استفادت من هؤلاء في إضفاء شرعية على عملها السياسي، لاسيما أن أحدا من الشعب لم يكن ليشك بهؤلاء العرافين بدعوى أن تفسيراتهم للأحداث تأتي عن طريق الوحي ,فضلاً عن أن تلك التنبؤات كانت تتماشى في أغلب الأحيان مع مشيئة الملك. اي كانت مهمتهم تهيأة الشعب لقبول قرارت الملك باضفاء قدسية منشأها السماوي (الوحي)

ويمكن ملاحظة الدور المهم لكاهن (البارو) وما يقدمه من خدمات للدولة من خلال الاوصاف التي أطلقت عليه كالأستاذ (Ummiānūm) والذي يجلس إلى جانب الملك (wāšib mahrika šarrim) والذي يمشي في مقدمة الجيش (واللقب الأخير الذي يحمله العراف (المستشار)([١٤]) يؤكد على أنه كان موظفا لدى الملك يأتمر في النهاية بأمر الأخير، ويحرص على إرضائه. وجاءتنا من بلاد آشور مجموعة رسائل كتبها رئيس العرافين إلى الملك الآشوري، و كان هذا العراف يعمل في الخدمة الملكية ويتولى مهمة تنظيم العرافين الآخرين، وقد التزم الملك بمنح العراف قطعة من الأرض ليعيش منها. وهذا يشير إلى أهمية هؤلاء العرافين في حياة الملك، كما وأن اعتماد العراف في معيشته على الملك يجعل نبوءته مطابقة لما يرغب به الملك عندما يتعلق الأمر بالقرارات المهمة التي استقر أمر الملك على قرار بشأنها([١٥]) أو حين لايرغب الملك بشأن آخر. ويمكن إعطاء مثال على محاولة العراف إرضاء الملك، فمن المعروف أن ملوك العراق القديم كانوا يتطيرون من حدوث الكسوف والخسوف بعَدِّهِما نذير شؤم على البلاد والملك، لهذا حاول عراف الملك الآشوري اسرحدون تغيير حقيقة حدوث الكسوف حين كتب إلى الملك قائلا:

لقد حدث كسوف غير أنه لم يكن مرئيا في العاصمة،

لقد مر بجانب مدينة الملك سيدي، لقد غطت الغيوم

مكان سكناي لذا لانعرف إن حدث الكسوف أم لم يحدث.

عسى أن يبعث سيدي الملك إلى مدينة آشور والى بابل،

نفر، وبورسيا، يقينا تمت رؤيته في واحدة منها.([١٦])

وليستمع الى التقارير المنتظمة، فالآلهة العظيمة التي تسكن مدينة الملك سيدي، ظللت السماء بالغيوم ومنعت رؤية الكسوف قائلة: دعاالملك سيدي يعرف بأن الكسوف لم يكن
ضد الملك سيدي أو ضد بلاده. دع الملك يفرح ([١٧]).

الجدير بالذكر أن مؤسسات الدولة كانت تفضل استقاء معلوماتها عن طريق الكهانة المقصودة، وليس عن طريق الكهانة التي تستقى من الأحداث التي تتم بالمصادفة. وربما يكون ذلك بسبب أن الأولى يمكن تفسيرها وفق أجندة معينة، في حين أن الثانية متفق على تفسيرها مما يصعب على الكاهن التلاعب بها بسهولة، كما وأن القرارات السياسية لا تنتظر ظهور المصادفات. لهذا فالعراف يجهد نفسه في سبيل معرفة مبتغى الآلهة بخصوص أمر ما يتعلق بالملك، وحين يتعذر عليه معرفة ذلك بسبب إعراض الآلهة عنه تقدم ضحية للآلهة، ويغتسل العراف بماء التطهير ويرفع يديه بالدعاء طلبا لحالة الموقف. كما في النص الآتي:

"ياشمش ياسيد الحكم، ويا ادد سيد المعجزات.
إني أحمل لكما هذا الغزال الصغير الطاهر،
الذي عيناه رماديتان، ووجهه بهي وظفره بلا تشوه. ([١٨])
وضعته أمه في الريف، وظلله الريف بعذوبته، كأب وأم، ولاحظه
الإله الشجاع ادد، فأمطر على مدار الأرض، وأنبت عشبا، ونما
العشب للحيوان, وفي الريف أكل الغزال الصغير من العشب، وشرب جذلا من مياه الينابيع الصافية...، لم يشتهه الذكر بعد. إني أقدمه لكما! ([١٩]).

لقد ألقيت قرارات السلطة السياسية على عاتق الآلهة التي تم معرفة إرادتها
عن طريق تكهن الكهنة كتعيين ولي العهد وكبار موظفي الدولة،
والقيام بالحملات العسكرية وموعدها، والمباشرة ببناء معبد أو قصر
وغير ذلك من الأمور المهمة) بما فيها تعيين الكاهن الأعلى،
فقد جاء في احدى سنوات حكم الملك اورنمو: السنة التي أختير
فيها ابن الملك اورنمو من قبل الملك بواسطة

عرافة الاحشاء ككاهن أعلى (ابن) للإلهة اننّا. ([٢٠])

ويذكر الملك نبونائيد بخصوص تعيين ابنته كاهنة عليا قائلا:

"لقد استخرجت الفأل بخصوص ابنتي، التي هي من صلبي.

نصبت ابنتي التي هي من صلبي كاهنة اينتوم.([٢١])

وبعد أن ظهرت نتيجة الفأل إيجابية كانت معرفة الإرادة الإلهية ضرورية لتسمية من يشغل منصب الكاهن الأعلى، ذا الأهمية الكبيرة، ولكن الذي يعينه حقيقة كان الملك, الذي يدين له الكاهن الأعلى بالفضل في تولي هذا المنصب، وربما يكون في ذلك حافز آخرعلى تقديمه العون للملك. ([٢٢]) وبما ان الملك يتبع مشورة وقرارات الالهة وكما هو معروف وما الالهة الاهي المتمثلة بالكهنة وهي غطاء لتوجيهاتهم سواء عن طريق الطقوس الدينية اوطرق الفال بانواعها والكهنة بهذا قد أدوا دورا مهما في نشوء النظام السياسي وتطويره، وطبع هذا النظام بالطابع الديني، واستمرارهم في دعم الحكام والملوك في توجهاتهم السياسية عندما انفصلت السلطة السياسية عن السلطة الدينية، ولاسيما عندما تكون علاقتهم بهؤلاء الملوك طيبة. وقد خولهم مركزهم الديني القيام بهذا الدور والتدخل في الشؤون السياسية.

والعراقي القديم يذهب ابعد من هذا في اعتقاده بالاصل الإلهي للسلطة السياسية . فهو يرى أن الالهة لاتحكم فقط جوهر السلطة السياسية هذه ، وانما تحكم ، فضلا عن هذا محتواها فالالهة التي تكون قد عينت العاهل الذي يقوم بممارسة السلطة السياسية التي تختص بها ، كممثل لا تتركه يحدد لها بملء اختياره محتواها . اذ ان الالهة تقوم بالتدخل لتحدد بنوع من الدقة والوضوح هذا الذي تنتظر منه أن يقوم به اثناء مدة حكمه . ([٢٣]) وكل ذلك يبدو طبيعا اذا ما تذكرنا أن العاهل ليس اكثر من ممثل للالهة . وهكذا نرى الاخيرة في حدود تصور العراقي القديم ، بالتحديد المسبق لاعماله ([٢٤]) ، فكل ملك يجد نفسه ملزما أن يقوم بتحقيق مهمة الهية على الأرض وهذه المهمة كانت معقدة وصعبة للغاية . فهي لم تكن تتحدد بحدود العمل الباهر والنشاطات الاّ على الورع ، كان يقوم بحملة انتقامية ، أو يقوم باعمار معبد مهجور ان هذه المهمة كانت تتجاوز ذلك لتغطي الحياة كاملة ومن ثم ، لتفرض على العاهل ، واجبات عديدة ازاء الالهة وازاء شعبه ، وازاء بلاده . و كانت ترى ان دورها في تنصيب الملك لا ينتهي الا بانتهائها من تحديد اعمال الملكية مسبقا ، لاشك

أن العراقي القديم كان يرى أن الوظيفة الملكية « **هي أي كانت تتمتع في الأصل بالطابع الالهي . وعلى هذا فان من يمسك بهذه الوظيفه لا يشترط فيه أن يكون متمتعا بطابع الهي** » ([٢٥]) . ومع ذلك فانه من يمسك بهذه الوظيفة الالهية لايمكن ، باى حال من الاحوال ، أن يكون انسانا عادي ؛ وانما لابد أن يكون انسانا متميزا ، بكلمة أو ضح ، لابد ان يكون انسانا مقدسا ، والقدسية التي يتميز بها العاهل لا تأتي عن الممارسات الدينية التي يقوم بها ،

كما لاتتأتى من التبجيل الذي يحاط به . وانما العاهل ، على العكس من هذا ، يقوم بمثل هذه المارسات الدينية ، ويحظى بمثل هذا التبجيل لانه يتميز اولا بالقدسية . وليس أدل على هذا من احتفاظ الملوك بطابع القدسية على الرغم من من تخلي البعض منهم عن القيام بالممارسات الدينية مثلا. فالملوك الاقوياء ومنهم البابليون

كانوا قد تخلوا ، عن الكثير من الممارسات الدينية لصالح الكهنة ، واحتفظوا لأنفسهم بنوع من الرقابة الشكلية عليها . ([٢٦]) ولكن ذلك لم يحل دون أن يحتفظوا بطابع القدسية . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى حتى في فترات الضعف التي كانت تسود البلاد بين الحين والاخر لسبب من الأسباب كان بيقى محتفظا بطابع القدسية في اعين الناس . ان كل ذلك فسر أن الطابع المقدس للسلطة السياسية يكمن ، بالاحرى في شخص الملك نفسه . فالعاهل كان يبدو مخلوقا فريدا يحتل مركزا خاصا" مابين الالهة والناس وهو بالتالي يجسد العلاقة التي تقوم ما بين العالم الالهي والعالم الانساني، وربما يمكن القول بان العاهل كان يتميز بطبيعة مضاعفة فهو من جهة ممثل الالهة بين البشر ، وممثل البشر بين الالهة .([٢٧])وتبعا لشخصية الملوك وسيما مانجده في الملوك الاقوياء فهم من يمسكون زمام الاموروواتخاذ القرارات في جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والعامرية حيث تذكر رواية شعرية بشان العاهل كوديا تنفيذ تعليمات نانشية بحذافيرها:

الراعي المخلص جوديا

يعرف كثيرا ,يصنع كثيرا

أحنى رأسه للكلمة التي نطقت بها نانشيةاليه,

نزع الختم عن المخزن واخذ الخشب ([٢٨])

ونجد الآشوريون ، حيث كان الحاكم الاشوري لم يدع نفسه باللقب الذي ترجمتة (ملك) حتى القرن الرابع عشر باستثناء شمشي – ادد الأول ، وبدلا من ذلك فقد استخدم المصطلح الذي يعني (نائب الاله اشور)، مما يعكس مركزه ممثلا للاله على الأرض . ولم يكن الملك الاشوري مقدسا" تماما ، الا انه كان ظل الاله الفعال . واننا نجد كتابة رسمية موجهة الى الملك تقول ذلك بعدد من الكلمات نصها : (**كان ابو الملك سيدي طيف الاله بيل والملك سيدي هو طيف الاله بيل ايضا).** كما قد يسمى الملوك **(شمس الشعب المقدسة).** وقد يمكن أن نسمي هؤلاء الحكام ملوكا كهنة اذ كانوا يعدون ، ضمن حدود مدينة اشور ، ورثة الواجبات الدينية والسلطات الدنيوية([٢٩]) .ويتضمن ذلك كل القرارات التي تشرع في كافة المجالات اذ كانت بيد الملوك الاشوريين الاقوياء في بداية مرحلة ازدهار الدولة الاشورية ,واما الكنهة ماهم الا مؤسسة تابعة للمك ليس عليها سوى الموافقة فقط.

وخاصة بتوسع حدود دولة مدينة اشور لتصبح ما نعده بلاد اشور ، فقد توسعت سلطة حاكم اشور معها على المدن الأخرى المؤسسة منذ القدم ، وهي مدينة ارابخا واربيل ونينوى، وعلى حدودها.([٣٠]) قبل مراحل الضعف التي مرت بها فيما بعد.

اما بخصوص فئة الكهنة فكانت تستفيد بلا أدنى شك من بعض ففضلا" على الإمتيازات، المرتبات العينية المقررة كانت هذه الفئة تهيمن على القرابين المقدمة إلى الآلهة، فهذه القرابين كانت تقدم على أنها ثروة وليست أدوات تستعملها الآلهة أو القوى المقدسة المفترضة ([٣١]). وإذا كانت القرابين تشكل واحدة من عناصر الفائض الإجتماعي، فإنها كانت تعود في قسط كبير منها إلى الكهنة في شكل إنفاق وإن لم يكن هذا الفائض ينفق على الكهنة فقط ، وهناك لوح من ألواح العبادة في (سيبار) كان قد كتب من قبل (نابو – ابلا – ادين) لغرض أشعار كهنة الإله (شمس) بالحصة التي يتلقاها كل كاهن، وتتجلى أهمية هذه الحصة من خلال الكشف عن مقدار القرابين المقدسة.([٣٢])

وفوق هذا كانت فئة الكهنة لا سيما المراتب العليا منها تمتلك العقارات. فالعاهل (مانيشتوسو) كان قد منح كاهنة الآله شمس حقا" تستفيده لمصلحتها الخاصة. وعندما أعاد العاهل (اكوم – كاكريم) تشييد (الايزاجيلا) كان قد قام بنفس الوقت بتعيين دخولات المعبد، كما عين هيئة كهانه تتمتع بمدخولات خاصة.([٣٣])

فقد جاء في القرار ما يلي: «**(نور)... الد (.....)، بيته، وحقله، ومرعاه.... (ايلشا) (.....)**
الذي يقوم بتطهير، بيته ، وحقله ، ومرعاه .....)[٣٤]

كما كانت كاهنة الإله (أ – مال) قد منحت كما تشير الألواح أرضا كا أن العاهل (اي – أولماش – شاكين – شومي) الذي أقام عبادة الآلهة (شمس) في سيبار) مكا كان بنفس الوقت قد قام بتثبيت القرابين التي تقدم إلى هذا كان قد تعرض للإنهيار، وعندما أعيد تشييده على يدالملك (نابو - ابلا – ادين) كان هذا الأخير قد ضمن التجهيزات المادية اللازمة و قد منح الكاهن مرعى في بابل» ([٣٥]).

وهنا تتجلى اهمية الملك كونه يكون المصدر الرئيس في معيشتهم وصاحب الفضل في مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية بما يحصلون علية من ثروات مادية وعينية تخص الاراضي والعقارات من قصور وحتى هياكل بعض المعابد وبساتين ومحاصيل ومعادن وبالتالي يكون ولاءهم للمك فقط وتنفيذ رغباته والموافقة عن كل القرارات التي يصدرها بموجب رغبة وموافقة الالهة وهنا يكون الملك هوصاحب القرار الاول الذي لايقبل المساس به لانه مستند الى الالهة التي اعلنت موافقتها عنه.

وفي أزمنة الضعف الملوك كانت الكهنة هم اصحاب السيادة واتخاذ القرارات في شتى المجالات ولكن يبدو أن هذه الفئة لم تتردد عن الإستفادة من مراكز القوة التي كانت تجد نفسها فيها لتحقق المكاسب غير الشرعية، إن العاهل (اوروكاجينا) وهو يقود حركته الإصلاحية ضد (لوكالاندا) لم ينس أن يذكر بأن العناصر العليا من الكهنة كانت تتقاسم والملك وأصحاب المناصب العليا في الدولة عائدات الهياكل من شعير وأكسية وثمار. وتقول رواية الإصلاحات التي أدخلها هذا الملك : «**كان الكاهن يقتلع الشجر، وينهب الثمر، في بستان ام الولد**
الفقير ولكن من الآن فصاعد لن يطأ الكاهن أرض البستان
ولن يقتلع شجره أو ينهب ثماره» «عجول الآلهة كانت تستخدم
لري الأراضي الموهوبة (للايشاكو) ... الأقمشة، والطيور،
والسخال كان الكهنة يستولون عليها على أنها ضريبة يتقاضونها»([٣٦])

حيث نجد في العصور السومرية اللاحقة وعندما زادت المهام الخاصة بممارسة السلطة السياسية ,ان العاهل كان قد إحتفظ لنفسه بلا أدنى شك بالسلطة الدينية العليا، ولكن فئة الكهنة هذه كانت قد استطاعت أن تتخلص شيئا فشيئا من الهيمنة التي كان يمارسها عليها العاهل بصفته هذه، ومنذ عهد العاهل (انتمينا) أخذت هذه الفئة تلعب دورا مها في جميع الشؤون المتعلقة بالحكم، وكان هذا الدور يزداد أهمية كلما كانت السلطة السياسية تتعرض للوهن ([٣٧])، فقد راح بعض الكهنة يشغل منصب (الانسي) فقد كان (انسي) مدينة (اوما) كاهنا، وقد تربع الكاهن (ايتارزي) على عرش (لكش) ولا شك أن الكتابات المنقوشة التي ترجع إلى عهد العاهل (اوروكاجينا) تكشف عن الصراع الذي دار ما بين فئة الكهنة والفئات الأخرى في الطبقة الحاكمة لا سيما الملك من أجل الإستحواذ على السلطة السياسية ([٣٨]).

وبقيت السلطة التي تتمتع بها فئة الكهنة على مستوى الحكم غير ثابتة كما أشرنا إلى ذلك من قبل، ففي ازمنة الأزمات كانت هذه الفئة تستفيد من ضعف السلطة السياسية لتخضع الملك لهيمنتها أو تبعده عن الحكم، فكثيرا" ما كانت هذه الفئات تتهم الملك الضعيف بارتكاب الخطيئة من أجل أن تمارس عليه الحق الإلهي في الإنتقام. وهكذا نرى الملك (اويل – مردوك) ابن العاهل (نبوخذ نصر) يوصم بارتكاب الخطيئة من قبل هيئة كهنة (الايز أجيلا) ليتم قتله على يدها، وكان العاهل (نبو نبيد) قد تعرض لاتهام مماثل، فقد تجرأ هذا الملك على أن يعلن عن تفوق الإله (سن) إله (حران) في بابل، كما كان قد حاول أن يدخل بعض الطقوس الدينية القديمة، مما جعله يتعرض لنقد الكهنة ومعارضتهم له([٣٩]). إن فئة الكهنة لم تتردد عن إتهامه بممارسة عبادة مدنسة، وعندما هجم الفرس على بابل قامت هذه الفئة بفتح أبواب المدينة للغزاة بقدر ما أنهى هؤلاء حكم العاهل المذكور ([٤٠]). وقد تعزز استقلال السلطة الدينية عن السلطة السياسية في العهد البابلي لا سيما في زمن حمورابي.([٤١])

إن الإستقلال الذي باتت تتمتع به هذه الفئة كان قد زاد بقدرما باتت تحتكر في يدها الطقوس الدينية،وكلما ضعف الملك فإنها كانت قد استطاعت اخضاع الملك، بدلالة هذه الطقوس ونفوذها فهذه الفئة كانت على المثال، قد احتكرت تفسير النذر بقدر ما باتت المختصة الوحيدة بشير و الأبراج السماوية، وعن هذا الطريق راحت تتصدى للكثير من

رغبات الملك (نبونائيد) كان قد أراد أن يصلح التاج الذي تقرب به([٤٢])، قبل هذا الملك (تابو – ابل – ادين) من الإله (شمش) ، إله (سبيار) وقد رغب هذا الملك في صنعه من الذهب بيد أن شيوخ المدنية قاوموه، وقالوا بوجوب ترك شيء على حاله، فاستنبأ ثلاث مرات عرافي إلآله (شمش) والإله (أداء وقد أنكر هؤلاء عليه في المرات الثلاث عزمه ذلك فانصرف إلى إله (مردوك) وإذا بعرافيه يتبينون في كبد الضحية رفض الاله لكل تجديد في التاج، وأخيرا أذعن الملك لأمر الشيوخ بناء على ما أفتى به العرافون([٤٣]).

الاستنتاجات

١- كان لرجال الدين الهيمنة واضحه على الملك وبتحديد اولئك الذين اتسمت شخصيتهم بالضعف و صاحب هذه المهينة تعزيز مكانتهم الاقتصادية وهذا انعكس على ضعف شخصية الملك في اتخاذ قرار .

٢- كان تأثير الكهنة في معظم الاحيان في صالح الملك لكون العلاقة محكومة بالمصالح المتبادلة ما بين السلطة السياسية والكهنة وهي التي تضمن بقاء امتيازاتها ومصالحها الاقتصادية كلما زاد رضا الملك عنها.

٣- بلغ تأثير رجال دين على الملوك الضعفاء الى حد الذي جعلهم يتدخلون في شؤون الحكم فضلا عن حياة الملك الشخصية وهذا الامر انعكس على العلاقة ما بين الطرفين .

٤ – تشبثت الفئة الدينية بتحكمها بمنح رضا الآلهة عن قرارات هذا الملك حتى لوكانت ضد مصالح الشعب والاعراف الاجتماعية واصبحت هذه الفئة اداة طيعة في يد الملوك الاقوياء منهم للمصادقة على كل اوامرهم الملكية سواء العسكرية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية.

الهوامش

(١) الطعان ,الفكر الساسي في تاريخ العراق القديم (,بغداد ,١٩٨١)ص١٥٩.

(٢) الاحمد ,سامي سعيد ,المعتقدات الدينة في العراق القديم مكتبة الرجس (,بيروت , بلات),ص٥٠.

(٣) الاحمد , المعتقدات الدينية, ص٥١.

(٤) أمين، بديعة، فكرة الصراع في الأدب السومري، (النجف, ٢٠٠٣),ق١، ص٦٢.

(٥) رو, جورج ، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان ، دار الحرية للطباعة، (بغداد ، ١٩٨٤) ,ص٢٣٦.

(٦) كلنغل, هو رست, حمورابي ملك عصره,ط١,ترجمة غازي سعيد, (بغداد, ١٩٩٧), ص١٣٥.

(7) Lambert,W.G.,Babylonian Wisdem Litreature,(London,1967),p15

(٨) الطعان , الفكر السياسي ,ص١٦٠.

(٩)الجبوري, صلاح رميض , أدب الحكمة في أدب وادي الرافدين ,دار الشؤون الثقافية, (بغداد,٢٠٠٠,)ص .١٨٥.

(١٠) المصدر نفسه.، ص١٨٥.

(١١) رو, جورج ، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان ، دار الحرية للطباعة،(بغداد ، ١٩٨٤, ص٢٧٤

(١٢) رو, جورج ، العراق القديم ,ص –ص٢٩١-٢٩٢.

Leemans , Ancient History , (New York – 1955) , P. 42.

(١٣) علي، فاضل عبدالواحد، سومر أسطورة وملحمة, دارالشؤون الثقافية العامة, (بغداد, ١٩٩٧)، ص٥٣.

(١٤) الطعان،الفكر السياسي,ص١٦٠.

(١٥) حنون، نائل، "مدينة مرد القديمة ونتائج التن التنقيب في ونة والصدوم"، (سومر، مج٤٩، ١٩٩٧-١٩٩٨،) ص٦٤-٩٧.

(١٦)المصدر نفسه,,ص ٩٤.

L. Oppenheim , Deictic – Ka – Kunu in Neo Babylonian , (New York – 1974) , . (JCS) , Vol. 1 , P. 121

(١٧) لطعان، الفكر السياسي في تاريخ العراق القديم,ص١٦٠-١٦٧

(١٨) رشيد، فوزي, ألقاب الملك مر دوخ- شابك- زيري (سومر,مجلد٣٦ , ١٩٨٠) ,ص٥٧-

([19])المصدر نفسه, ص٥٧-٥٨.

([20]) علي، عبدالواحد، سومر أسطورة وملحمة, ص٥٣.

([21]) المصد نفسه,ص٥٣.

([22]) الطعان ، الفكر السياسي، ص- ص١٦٠ -١٦٧.

([23]) كونتينو, جورج , الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ,ترجمة :سليم طه ,وبرهان عبد التكريتي,منشورات مطبعة المعرفة(,بغداد,١٩٧١), ص,٤٤٣-٤٤٥-

([24]) الطعان ,عبد الرضا ,الفكر السياسي في وادي الرافدين ووادي النيل ,بغداد ,مطبعة(جامعة بغداد ,١٩٨٥),ص٨٥.

([25]) دياكوف, وترافيموت,ملحمة كلكامس ,ترجمة :عزيزحداد,مكتبة الصياد,(بغداد ,١٩٧٣),ص٨٢

([26]) الطعان,الفكر السياسي في وادي الرافدين ووادي النيل بغداد ,ص٨٥.

([27]) المصدر نفسه,ص٨٦.

([28])وهي من اكثر المقاطع الشعرية تدورحول امر متعلق بعلامة أوبأشارة يطلبها من ننجرسو لمعرفة مراد الالهة عن طريق الحلم لبناء المعبد ينظر كريمر ,صموئيل نوح, طقوس الجنس المقدس ,عند السومريين ,ترجمة :نهاد خياطة ,دار علاء ا لدين (,بيروت ,بلا.ت),ص٣٠.

([29]) ساكز, قوة اشور ,ص١١٠

([30]) المصدرنفسه ,ص١١١

([31])تشاليد ,كوردن ,التطور الاجتماعي ,:ترجمة لطفي فطيم مؤسسة سجل العرب ,(القاهرة,١٩٦٦),ص٨٩.

([32]) الطعان ,الفكر السياسي في العراق القديم ,ص١٦١.

([33])المصدر نفسه ,ص١٦١

([34]) Labat, R., Le Caractère Religieux De La Royatè Assyro- Babylonienne, ,(Paris 1939).p,209.

([35]) تشاليد , ,التطور الاجتماعي,ص١٧٨;

Labat, Le Caractère Religieux,p. 209.

([36]) الطعان ,الفكر السياسي في العراق القديم ,ص١٦٢.

(٣٧) ابراهيم ,نجيب ميخائيل, مصر والشرق الادنى القديم ,حضارة الشرق القديم .العراق فارس.ا,دار المعارف. ا(لقاهرة١٩٦٧)ص ١٧٨.

(38)Labat, Le Caractère Religieux p15.

(٣٩) الطعان,الفكر السياسي في وادي الرافدين ووادي النيل,ص٨٧

(40)Labat, , ., Le Caractère Religieux p 18 .

(٤١) الطعان ,الفكر الساسي في العراق القديم ,ص١٦٤.

(٤٢) المصدرنفسه ,ص١٦٤; Labat, Le Caractère Religieux, p 319.

(43) Ipid, p.319 ; الطعان, الفكر السياسي في وادي الرافدين ووادي النيل,ص٨٧

المصادر بالغة العربية

١. ابراهيم ,نجيب ميخائيل, مصر والشرق الادنى القديم ,حضارة الشرق القديم .العراق فارس.ا,دار المعارف. ا(لقاهرة١٩٦٧)

٢. الاحمد ,سامي سعيد ,المعتقدات الدينة في العراق القديم مكتبة الرجس (,بيروت , بلات).

٣. أمين، بديعة، فكرة الصراع في الأدب السومري، (النجف, ٢٠٠٣)ق١، ص٦٢.

٤. تشاليد ,كوردن ,التطور الاجتماعي ,:ترجمة لطفي فطيم مؤسسة سجل العرب ,(القاهرة,١٩٦٦).

٥. الجبوري, صلاح رميض , أدب الحكمة في أدب وادي الرافدين ,دار الشؤون الثقافية, (بغداد,٢٠٠٠,).

٦. حنون، نائل، "مدينة مرد القديمة ونتائج التن التنقيب في ونة والصدوم"، (سومر، مج٤٩، ١٩٩٧-١٩٩٨،) ص٦٤-٩٧.

٧. دياكوف, وترافيموت, ملحمة كلكامش ,ترجمة :عزيزحداد,مكتبة الصياد,(بغداد ,١٩٧٣),

٨. رشيد، فوزي, ألقاب الملك مر دوخ- شابك- زيري (سومر,مجلد٣٦ , ١٩٨٠) .

٩. رو, جورج ، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان ، دار الحرية للطباعة، (بغداد ، ١٩٨٤)

١٠. رو, جورج ، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان ، دار الحرية للطباعة،(بغداد ، ١٩٨٤, ص٢٧٤

١١. ساكز، هاري، قوة آشور، ترجمة عامر سليمان، (بغداد، ١٩٩٩)،

١٢. الطعان ,عبد الرضا ,الفكر الساسي في تاريخ العراق القديم (,بغداد ,١٩٨١).

١٣. الطعان ,عبد الرضا ,الفكر السياسي في وادي الرافدين ووادي النيل ,بغداد ,مطبعة(جامعة بغداد ,١٩٨٥).

١٤. علي، فاضل عبدالواحد، سومرأسطورة وملحمة, دارالشؤون الثقافية العامة, (بغداد, ١٩٩٧).

١٥. كريمر ,صموئيل نوح, طقوس الجنس المقدس ,عند السومريين ,ترجمة :نهاد خياطة ,دار علاء ا لدين (,بيروت ,بلا.ت).

١٦. كلنغل, هو رست, حمورابي ملك عصره,ط١,ترجمة غازي سعيد, (بغداد, ١٩٩٧).
١٧. كونتينو, جورج , الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ,ترجمة :سليم طه ,وبرهان عبد التكريتي, منشورات مطبعة المعرفة(,بغداد,١٩٧١)

المصادر باللغة الانكليزية

1. L. Oppenheim , Deictic – Ka – Kunu in Neo Babylonian , (New York ,1974)
2. Lambat, R., Le Caractère Religieux De La Royatè Assyro-Babylonienne, ,(Paris 1939)..
3. Lambert,W.G.,Babylonian Wisdem Litreature,(London,1967.(
4. Leemans , Ancient History , (New York – 1955).